المقاومة الفلسطينية والعمل الاجتماعي

غازي خورشيد

الثورة في العالم الثالث حركة تغيير لواقع مجتمع معين ان في فهمه السياسي او الاجتماعي او الاقتصادي نحو نمط جديد من الممارسة والعلاقات . لا يمكن الفصل بين هذه المفاهيم الثلاثة عبر مرحلة التغيير لانها على علاقة جدلية تتمم كل الاخرى وتسير معا في عملية بناء المجتمع الجديد . فان عملية تطوير الفهم السياسي في المجتمع تتطلب بالضرورة وعي العلاقات الاجتماعية والاقتصادية السائدة فيه وما تفرزه هذه العلاقات من سلطات ضمن طبقات المجتمع نفسه حتى يتم توعية الطبقات صاحبة الحق في السلطة على مصالحها . كما ان اي عملية تغيير في الوضع الاجتماعي او الاقتصادي لا ترتبط بفهم سياسي معين يكون جزءا من برنامج متكامل لا يمكن لها ان ترفع من مستوى الجماهير — صاحبة الحق في السلطة — لتتلمس هي قضاياها بل تكون هذه الخطوات بمثابة اصلاحات او خدمات تقدمها الثورة كأي مؤسسة مستقلة تضمن فقط استمرار التفاف منتفعين من حولها .

ان الجماهير بحكم واقع التخلف والتضليل والتجهيل الذي تعيش فيه والمفروض عليها من الطبقات الحاكمة حفاظا على مصالحها وامتيازاتها ، وبرغم تلمسها لهذا الاستغلال وتعبيرها عنه في بعض الاحيان بالاضراب او التظاهر او الاحتجاج تبقى عاجزة عن اتخاذ زمام المبادرة والقيام بالثورة التي تؤدي بالنهاية الى سيطرتها على السلطة . لذا تحتاج الثورة لطليعة تعي الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي للجماهير لتتخذ على مسؤوليتها عملية تنظيمها وتعبئتها . وهكذا فان الثورة بحاجة لثقة الجماهير بها كمعبرة عن مصالحها حتى تتمكن من الاستمرار والوصول الى هدفها الاساسي . كيف يمكن كسب هذه الثقة ؟ او بكلام أدق كيف يمكن للثورة ان تقيم علاقتها بالجماهير ؟

لا شك بان الكفاح المسلح هو اهم المظاهر التي تلتف حولها الجماهير اذ انها ترى فيه بداية التحرر من الواقع الذي تعيش فيه . ان هذا الحس الطبيعي لدى الجماهير هو الذي يدفعها الى الوقوف مع الثورة فتشكل دعما معنويا له على الصعيدين المادي والبشري فهي تقدم كل ما باستطاعتها من العون المادي ، ومن ثم هي المصدر الوحيد لرصد المزيد من الامكانات والطاقات البشرية للثورة . ولكن هل يقتصر دور الجماهير على هذين المنطلقين فقط رغم اهميتهما كضمان لاستمرارية الثورة ؟ كما لا بد ان نتساءل الى اي مدى يمكن لهذه الجماهير وفي ظل دورها السابق الذكر ان تستمر في تقديم مساعداتها للثورة ؟ ان تصاعد النضال وتطور الثورة يبدأ بتطلب مزيد من التضحيات ومزيد من الدعم والصمود من الجماهير التي تصورت مع انطلاقة الثورة ان التحرير عملية شهور ومعارك محدودة وينتهي العدو ويستسلم . ان هذا الشعور الموجود اصلا لدى الجماهير لا تحاول الثورة عبر ذلك النمط من العلاقة ان تزيله بمفهومها الخاص للثورة ولدور الجماهير فيها . وهكذا فان بقاء الجماهير على هذه الحالة يبدأ بتسريب الشك الى نفسها فيما اذا كانت الثورة حقا تستطيع الاستمرار والتحرير ، ويرافقه ايضا تراجع في دعمها المادي والبشري . وهكذا فان عفوية الجماهير تقوم بدعم شامل